هدية الى الاديب الكبير
الأستاذ محمد أمين حسونة
مع تحياتي
اسماعيل احمد ادهم

215
A23LA
C.1

لماذا أنا ملحد؟

بقلم
الدكتور اسماعيل أحمد أدهم
D. Litt. (Hon)., Ph. D., Sc D., (Moscow).
عضو أكاديمية العلوم الروسية
ووكيل المعهد الروسى للدراسات الاسلامية

(عن مجلة الامام)
أغسطس ١٩٣٧

مطبعة التعاون
٣ شارع فرنسا ـ تليفون ٢٠٠٣٠
بالاسكندرية

لماذا أنا ملحد ؟

(كُتبت على أثر مطالعة « عقيدة الألوهة » للدكتور أحمد زكى أبوشادى)

لما جهلت من الطبيعة أمرها وأقمت نفسك فى مقام معلل
أثبت رباً تبتغى حلا به للمشكلات فكان أكبر مشكل!

جميل صدقى الزهاوى

توطئة

الواقعُ أننى درجتُ على تربية دينية لم تكن أقومَ طريق لغرس العقيدة الدينية فى نفسى . فقد كان أبى مسلماً من المتعصبين للاسلام والمسلمين وأمى مسيحية بروتستانتية ذات ميل لحرية الفكر والتفكير ، ولا عجب فى ذلك فقد كانت كريمة البروفسور وانتهوف الشهير . ولكن سوء حظى جعلها تتوفى وأنا فى الثانية من سنى حياتى ، فعشت أيام طفولتى حتى أواخر الحرب العظمى مع شقيقتىَّ فى الآستانة ، وكانتا تلقنانى تعاليم المسيحية وتسيران بى كلَّ يوم أحدٍ الى الكنيسة . أما أبى فقد انشغل بالحرب وكان متنقلاً بين ميادينها فلم أعرفه أو أتعرف اليه إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها ودخل الحلفاء الآستانة . غير أن بُعد والدى عنى لم يكن ليمنعه عن فرض سيطرته علىَّ من الوجهة الدينية ، فقد كلف زوج عمتى وهو أحد الشرفاء العرب أن يقوم بتعليمى من الوجهة الدينية ، فكان يأخذنى لصلاة الجمعة كل يوم جمعة ويجعلنى أصوم رمضان وأقوم بصلاة التراويح ، وكان هذا كله يثقل كاهلى كطفل لم يشتدَّ عوده بعد ، فضلاً عن تحفيظى القرآن . والواقع أننى حفظت القرآن وجوَّدته وانا ابن العاشرة ، غير أنى خرجت ساخطاً على القرآن لأنه كلفنى جهداً كبيراً كنت فى حاجة الى صرفه الى ما هو أحبّ الى نفسى منه . وكان كل ذلك من أسباب التمهيد لثورة نفسية على الاسلام وتعاليمه . ولكنى كنتُ أجد من المسيحية

غير ذلك ، فقد كانت شقيقتاى - وقد نالتا قسطاً كبيرا من التعليم فى كلية الأمريكان بالآستانة - لا تثقلان علىّ بالتعليم الدينى المسيحى وكانتا قد درجتا على اعتبار أن كل ما تحتويه التوراة والانجيل ليس صحيحاً وكانتا تسخران من المعجزات ويوم القيامة والحساب ، وكان لهذا كله أثر فى نفسيتى .

كانت مكتبة والدىّ مشحونة بآلاف الكتب وكان محرماً علىّ الخروج والاختلاط مع الاطفال الذين هم من سنّى ، ولقد عانيتُ أثر هذا التحريم فى فردية تبعدنى عن الجماعة فيما بعد ، ولم يكن فى مستطاعى الخروج الا مع شقيقتىّ وقد ألفت هذه الحياة وكنت أحبهما حبّاً جمّاً فنقضى وقتنا معاً نطالع ونقرأ ، فطالعتُ وأنا ابن الثامنة مؤلفات عبد الحق حامد وحفظت الكثير من شعره ، وكنت كلفاً بالقصص الأدبية فكنت أتلو لبلزاك وجى دى موباسان وهيغو من الغربيين آثارهم ولحسين رحمى الروائى التركى المشهور قصصه ، وأتى والدى الى الآستانة وقد وضعت الحرب أوزارها ودخل الحلفاء الآستانة ولكن لم يبق كثيراً ، حيث غادرها مع مصطفى كمال الى الأناضول ليبدأ مع زعماء الحركة الاستقلالية حركتهم ، وظللت أربع سنوات من سنة ١٩١٩ الى ١٩٢٣ فى الآستانة قابعاً فى دارنا أتعلم الألمانية والتركية على يد شقيقتىّ والعربية على يد زوج عمتى ، وفى هذه الفترة قرأت لداروين أصل الأنواع وأصل الانسان وخرجت من قراءتهما مؤمناً بالتطور . وقرأت مباحث هكسلى وهيكل والسر ليل وبيجهوت وأنا لم أتجاوز الثالثة عشرة من سنى حياتى . وانكببت أقرأ فى هذه الفترة لديكارت وهوبس وهيوم وكانت ، ولكنى لم أكن أفهم كل ما أقرأ لهم . وخرجت من هذه الفترة نابذاً نظرية الارادة الحرة ، وكان لسبينوزا وأرنست هيكل الأثر الأكبر فى ذلك ، ثم نبذت عقيدة الخلود . غير أن خط دراستى توقف برجوع والدى الى الآستانة وتزوجه الى مصر واصطحابه إياىَ ، وهنالك فى الاسكندرية خطوت أيام مراهقتى ؛ ولكن كان أبى لا يعترف لى بحق تفكيرى ووضع أساس عقيدتى المستقبلة ، فكان يفرض علىّ الاسلام والقيام بشعائره فرضاً ، وأذكر يوماً أنى ثرت على هذه الحالة وامتنعت عن الصلاة وقلت : له إنى لست بمؤمن ، أنا داروينىّ أومن بالنشوء والارتقاء . فكان جوابه على ذلك أن أرسلنى الى القاهرة وألحقنى بمدرسة داخلية ليقطع علىّ أسباب المطالعة ، ولكنى تحايلت على ذلك بأن كنت أتردد

على دار الكتب المصرية وأطالع ما يقع تحت يدى من المؤلفات الألمانية والتركية يومى الخميس والجمعة — وهما من أيام العطلة المدرسية . وكنت أشعر وأنا فى المدرسة أنى فى جوّ أحط منى بكثير . نعم لم تكن سنى تتجاوز الرابعة عشرة ولكن كانت معلوماتى فى الرياضيات والعلوم والتاريخ تؤهلنى لأن أكون فى أعلى فصول المدارس الثانوية ، ولكن عجزى فى العربية والانجليزية كان يقعد بى عن ذلك . وفى سنة ١٩٢٧ غادرتُ مصر بعد أن تلقيت الجانب الاكبر من التعليم الاعدادى فيها على يد مدرسين خصوصيين ونزلت تركيا والتحقت بعدها بمدة بالجامعة وهنالك للمرة الأولى وجدت أناساً يمكننى أن أشاركهم تفكيرهم ويشاركوننى . فى الآستانة درستُ الرياضيات وبقيت كذلك ثلاث سنوات وفى هذه الفترة أسست (جماعة نشر الالحاد) بتركيا وكانت لنا مطبوعات صغيرة كل منها فى ٦٤ صفحة أذكر منها :

الرسالة السابعة : الفرويديزم ، الرسالة العاشرة : ماهية الدين ، الرسالة الحادية عشرة : قصة تطور الدين ونشأته ، الرسالة الثانية عشرة : العقائد ، الرسالة الثالثة عشرة : قصة تطور فكرة الله ، الرسالة الرابعة عشرة : فكرة الخلود .

وكان يحرر هذه الرسائل أعضاء الجماعة وهم طلبة فى جامعة الآستانة تحت إرشاد أحمد بك ذكريا أستاذ الرياضيات بالجامعة والسيدة زوجته . وقد وصلت الجماعة فى ظرف مدة قصيرة للقمة فكان فى عضويتها ٨٠٠ طالب من طلبة المدارس العالية وأكثر من ٢٠٠ من طلبة المدارس الثانوية — الاعدادية — وبعد هذا فكرنا فى الاتصال بجمعية نشر الالحاد الامريكية التى يديرها الأستاذ شارلس سمث ، وكان نتيجة ذلك انضمامنا له وتحويل اسم جماعتنا الى « المجمع الشرقى لنشر الالحاد » . وكان صديقى البحاثة اسماعيل مظهر فى ذلك الوقت يصدر مجلة (العصور) ، فى مصر وكانت تمثل حركة معتدلة فى نشر حرية الفكر والتفكير والدعوة للإلحاد ، فحاولنا أن نعمل على تأسيس جماعة تتبع جماعتنا فى مصر وأخرى بلبنان واتصلنا بالأستاذ عصام الدين حفنى ناصف فى الاسكندرية وأحد الاساتذة بجامعة بيروت ولكن فشلت الحركة ! وغادرت تركيا فى بعثة للروسيا عام ١٩٣١ وظللت الى عام ١٩٣٤ هنالك أدرس الرياضيات وبجانبها الطبيعيات النظرية . وكان سبب انصرافى للرياضيات نتيجة ميل طبيعى لى حتى لقد فرغتُ من دراسة هندسة أوقليدس وانا ابن الثانية عشرة . وقرأت لبوانكاره وكلاين ولوباجفسكى مؤلفاتهم وأنا ابن الرابعة عشرة ، وكنت كثير الشك والتساؤل فلما

بدأت بهندسة أوقليدس وجدته يبدأ من الأوليات ، وصدم اعتقادى فى قدسية الرياضيات وقتئذ فشككتُ فى أوليات الرياضة وظللت مضرباً مدة من الزمن عن تلقى الرياضيات منكباً على دراسة هوبس ولوك وبركلى وهيوم وكان الأخير أقربهم لنفسى ، وحاول الكثيرون إقناعى بان أكمل دراستى للرياضة ، ولكن حدث بعد ذلك تحول عجيب لا أعرف كنهه لليوم ، فالتهمت المعلومات الرياضية كلها فدرست الحساب والجبر والهندسة بضروبها وحساب الدوالى والتربيعات ولكن الشك لم يغادرنى ، فسلمت جدلاً بصحة أوليات الرياضة ودرست ، وما انتهيت من دراستى حتى عنيت بأصول الرياضة وكان هذا الموضوع سبب نوال درجة الدكتوراه فى الرياضيات البحتة من جامعة موسكو سنة ١٩٣٣م وفى نفس السنة نجحت فى أن أنال فى العلوم وفلسفتها إجازة الدكتوراة لرسالة جديدة عن (الميكانيكا الجديدة التى وضعتها مستنداً على حركة الغازات وحسابات الاحتمال) وكانت رسالة فى الطبيعيات النظرية . وخرجت من كل بحثى بأن الحقيقة اعتبارية محضة وأن مبادىء الرياضيات اعتبارات محضة ، وكان لجهدى فى هذا الموضوع نهاية إذ ضمنت النتائج التى انتهيت اليها كتابى (الرياضيات والفيزيقا) الذى وضعته بالروسية فى مجلدين مع مقدمة مسهبة فى الألمانية : وكانت نتيجة هذه الحياة أنى خرجت عن الأديان وتخليت عن كل المعتقدات وآمنت بالعلم وحده وبالمنطق العلمى ، ولشدّ ما كانت دهشتى وعجبى أنى وجدت نفسى أسعد حالاً وأكثر اطمئناناً من حالتى حينما كنت أغالب نفسى للاحتفاظ بمعتقد دينى .

وقد مكن ذلك الاعتقاد فى نفسى الأوساط الجامعيَّة التى اتصلت بها إذ درَّست مؤقتاً فكرتى فى دروس الرياضيات بجامعة ليننغراد سنة ١٩٣٤ م .

(١)

ان الأسباب التى دفعتنى للتخلى عن الايمان « بالله » كثيرة منها ما هو علمى بحت ومنها ما هو فلسفى صرف ومنها ما هو بين بين ومنها ما يرجع لبيئتى وظروفى ومنها ما يرجع لأسباب سيكلوجية . وليس من شأنى فى هذا البحث أن أستفيض فى ذكر هذه الأسباب ، فقد شرعت منذ وقت أضع كتاباً عن عقيدتى الدينية والفلسفية ولكن غايتى هنا أن أكتفى بذكر السبب العلمى الذى دعانى للتخلى عن فكرة « الله » وإن كان هذا لا يمنعنى من أن أعود فى فرصة أخرى - إذا سنحت لى - لبقية الأسباب .

وقبل أن أعرض للأسباب لا بدّ لى من استطراد لموضوع إلحادى ، فأنا ملحدٌ ونفسي ساكنة لهذا الالحاد ومرتاحة اليه . فأنا لا أفترق من هـذه الناحية عن المؤمن المتصوف فى إيمانه . نعم لقد كان إلحادى بداءة ذى بدء مجرد فكرة تساورنى ومع الزمن خضعت لها مشاعرى فاستولت عليها وانتهت من كونها فكرة الى كونها عقيدة . ولى أن أتساءل : ما معنى الالحاد ؟

يجيبك لودفيج بخنر زعيم ملاحدة القرن التاسع عشر : الالحاد هو الجحود بالله وعدم الايمان بالخلود والارادة الحرة . والواقع أن هذا التعريف سلبي محض ، ومن هنا لا أجد بداً من رفضه . والتعريف الذى أستصوبه وأراه يعبر عن عقيدتى كملحد هو : « الالحاد هو الايمان بان سبب الكون يتضمنه الكون فى ذاته وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم » . ومن مزايا هذا التعريف أن شقه الأول إيجابى محض ، بينما لو أخذت وجهته السلبية لقام دليلاً على عدم وجود الله . وشقه الثانى سلبي يتضمن كل ما فى تعريف بخنر من معانٍ .

يقول عمانوئيل كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤ م) :

« انه لا دليل عقلى أو علمى على وجود الله » و « انه ليس هنالك من دليل عقلى أو علمى على عدم وجود الله » .

وهذا القول الصادر عن أعظم فلاسفة العصور الحديثة وواضع الفلسفة الانتقادية يتابعه فيه جمهرة الفلاسفة . وقول عمانوئيل كانت لا يخرج عن نفس ما قاله لوقريتوس الشاعر اللاتينى منذ ألفى سنة ، ولهذا السبب وحده تقع على الكثيرين بين صفوف المثقفين والمتنورين بل الفلاسفة من اللاأدريين ، وهربرت سبنسر الفيلسوف الانجليزى الكبير وتوماس هكسلى البيولوجى والمشرح الانجليزى المعروف قد كانا لا أدريين . ولكن هل عدم قيام الأدلة على عدم وجود الله مما يدفع المرء للأدرية ؟

الواقع الذى ألمسه أن فكرة الله فكرة أولية ، وقد أصبحت من مستلزمات الجماعات منذ ألفى سنة ، ومن هنا يمكننا بكل اطمئنان أن نقول إن مقام فكرة الله الفلسفية أومكانها فى عالم الفكر الانسانى لا يرجع لما فيها من عناصر القوة الاقناعية الفلسفية وانما يعود لحالة يسميها علماء النفس التبرير racionation ، ومن هنا فانك لا تجد لكل الأدلة التى تقام لأجل إثبات وجود السبب الأول

قيمة علمية أو عقلية . ونحن نعلم مع علماء الأديان والعقائد أن أصل فكرة الله تطورت عن حالات بدائية ، وانها شقت طريقها لعالم الفكر من حالات وهم وخوف وجهل بأسباب الأشياء الطبيعية . ومعرفتنا بأصل فكرة الله تذهب بالقدسية التى كنا نخلعها عليها .

(٢)

ان العالم الخارجى - عالم الحادثات - يخضع لقوانين الاحتمال probability فالسنة الطبيعية لا تخرج عن كونها إشمال القيمة التقديرية التى يخلص بها الباحث من حادثة على ما يماثلها من الحوادث . والسببية العلمية لا تخرج فى صميمها عن أنها وصف لمجرى سلوك الحوادث وصلاتها بعضها ببعض . وقد نجحنا فى ساحة الفيزيقا - الطبيعيات - فى أن نثبت أن (B) اذا كانت نتيجة effect للسبب cause (A) فان معنى ذلك أن هنالك علاقة بين الحادثتين B و A . ويحتمل أن تحدث هذه العلاقة بين (B) و (C) وبينها وبين (D) و (E) فكأنه يحتمل أن تكون (B) نتيجة للحادثة (A) وقتاً وللحادثة (C) وقتاً آخر وللحادثة (D) حينا وللحادثة (E) حيناً آخر. والذى نخرج به من ذلك أن العلاقة بين ما نطلق عليه اصطلاح السبب وبين ما نطلق عليه اصطلاح النتيجة تخضع لسنن الاحتمال المحضة التى هى أساس الفكر العلمى الحديث. ونحن نعرف أن قرارة النظر الفيزيقى الحديث هو الوجهة الاحتمالية المحضة ، وليس لى أن أطيل فى هذه النقطة وانما أحيل القارىء الى مذكرتى العلمية لمعهد الطبيعيات الألمانى والمرسلة فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣٤ والتى تليت فى اجتماع ١٧ سبتمبر ونشرت فى أعمال المعهد لشهر أكتوبر عن « المادة وبنائها الكهربائى » وقد لخصتُ جانباً من مقدمتها بجريدة (البصير) عـدد ١٢١٢٠ (المؤرخ الاربعاء ٢١ يوليو سنة ١٩٣٧) وفى هذه المذكرة أثبتُّ أن الاحتمال هو قرارة النظر العلمى للذرة فاذا كان كل ما فى العالم يخضع لقانون الاحتمال فانى أمضى بهـذا الرأى الى نهايته وأقرر أن العالم يخضع لقانون الصدفة .

ولكن مامعنى الصدفة والتصادف ؟

يقول هنرى بوانكاريه فى أول الباب الرابع من كتابه « Science et Methode » فى صدد كلامه عن الصدفة والتصادف :

« انّ الصدفة تخفى جهلنا بالأسباب ، والركون للمصادفة اعترافٌ بالقصور عن تعرّف هذه الأسباب » .

والواقع أن كل العلماء يتفقون مع بوانكاريه فى اعتقاده (أنظر لصديقنا البحاثة اسماعيل مظهر « ملقى السبيل فى مذهب النشوء والارتقاء » ، ص ١٦٤ - ١٦٧) منذ تفتح العقل الانسانى ، غير أنى من وجهة رياضية أجد للصدفة معنى غير هذا ، معنى دقيقاً بثّ للمرة الأولى فى تاريخ الفكر الانسانى فى كتابى Mathematik und Physik ج ٢ ، فصل ٧ ، فى صدد الكلام عن الصدفة والتصادف وهذا المعنى لا تؤتينى الألفاظ العادية للتعبير عنه لأن هذه الألفاظ ارتبطت بمفهوم السبب والنتيجة ، لهذا سنحاول أن نحدد المعنى عن طريق ضرب الأمثلة .

لنفرض أن أمامنا زهر النرد ونحن جلوس حول مائدة ، ومعلوم أن لكل زهر ستة أوجه ، فلنرمز لكل وجه بالرمز الآتى فى كل من الزهرين :

يك : دو : سه : جهار : بنج : شيش

ل١ : ل٢ : ل٣ : ل٤ : ل٥ : ل٦ فى زهر النرد الأول

ك١ : ك٢ : ك٣ : ك٤ : ك٥ : ك٦ فى زهر النرد الثانى

وبما أن كل واحد من هذه الأوجه محتملٌ مجيئه إذا رمينا زهر النرد ، فان مبلغ الاحتمال لهذه الأوجه يحدد معنى الصدفة التى نبحثها .

إن نسبة احتمال هذه الأوجه تابعة لحالة اللاعب بزهر النرد ، ولكن لنا أن نتساءل : ما نسبة احتمال هذه الأوجه تحت نفس الشرائط ، فمثلاً لو فرضنا أنه فى المرة (ن) كانت نتيجة اللعب هى :

ل٦ × ك٦ = شيش × شيش = دش

فما أوجه مجىء الدش فى المرة (ن + س) ؟

اذا فرضنا أن الحالة الاحتمالية هى « ح » كان لنا ان نخلص من ذلك بأن اللاعب اذا رمى زهر النرد (ن + س) من المرات وكان مجموعها مثلاً ٣٦ مرة فاحتمال مجىء الدش هنا فى الواقع : $\frac{١}{(ن + س)}$

وبما أن ن + س = ٣٦ مرة فكأن النسبه الاحتمالية

هى $\frac{1}{36}$ فاذا أتى الدش مرة من ٣٦ مرة لما عد ذلك غريباً لأنه محتمل الوقوع ، ولكن ليس معنى ذلك أن الدش لا بد من مجيئه لأن هذا يدخل فى باب آخر قد يكون باب الرجم . وكلما عظمت مقدار (س) فى المعادلة (ن + س) تحدد مقدار (ح) أى النسبة الاحتمالية وذلك خضوعاً لقانون الأعداد العظمى فى حسابات الاحتمال . ومعنى ذلك أن قانون الصدفة يسرى فى المقادير الكبيرة ، مثال ذلك أن عمليه بتر الزائدة الدودية نسبة نجاحها ٩٥٪. أعنى أن ٩٥ حالة تنجح من ١٠٠ حالة ، فلو فرضنا أن مائة مريض دخلوا أحد المستشفيات لاجراء هذه العملية فان الجراح يكون مطمئناً الى أنه سيخرج بنحو ٩٥ حالة من هذه الحالات بنجاح ، فاذا سألته : يا دكتور ، ما نسبة احتمال النجاح فى هذه العمليات ؟ فانه يجيبك ٩٥ فى المائة ، ويكون مطمئناً لجوابه . ولكنك إذا سألته : يا دكتور ، ما نسبة احتمال النجاح فى العملية التى ستجريها لفلان ؟ فانه يصمت ولا يجيبك ، لأنه يعجز عن معرفة النسبة الاحتمالية .

هذا المثال يوضح معنى قانون الصدفة فى أنها تتصل بالمقادير الكبيرة والكثرة العديدة . ويكون مفهوم سنة الصدفة وجه الاحتمال فى الحدوث ، ويكون السبب والنتيجة من حيث هما مظهران للصلة بين حادثتين فى النطاق الخاضع لقانون العدد الأعظم الصدفى حالة إمكان محض . ومعنى هذا أن السببية صلة إمكان بين شيئين يخضعان لقانون العدد الأعظم الصدفى ، فمثلاً لو فرضنا أن الدش أتى مرة واحدة من ٣٦ مرة أعنى بنسبة ١ : ٣٦ مرة ففى الواقع نحن نكون قد كشفنا عن صلة إمكان بين زهر النرد ومجىء الدش ، وهذا قانون لا يختلف عن القوانين الطبيعية فى شىء .

إذاً يمكننا أن نقول إن الصدفة التى تخضع العالم لقانون عددها الأعظم تعطى حالات إمكان . ولما كان العالم لا يخرج عن مجموعة من الحوادث ينتظم بعضها مع بعض فى وحدات وتتداخل وتتناسق ثم تنحل وتتباعد لتعود من جديد لتنتظم . ... وهكذا خاضعة فى حركتها هذه لحالات الامكان التى يحددها قانون العدد الأعظم الصدفى ، ومثل العالم فى ذلك مثل مطبعة فيها من كل نوع من حروف الأبجدية مليون حرف وقد أخذت هذه الحركة والاصطدام فتجتمع وتنتظم ثم تتباعد وتنحل هكذا فى دورة لانهائية ، فلا شك أنه فى دورة من هذه الدورات اللانهائية لا بد أن يخرج هذا المقال الذى تلوته الآن ، كما أنه

فى دورة أخرى من دورات اللانهائية لا بد أن يخرج كتاب (أصل الأنواع) وكذا (القرآن) مجموعاً منضَّداً مصححاً من نفسه . ويمكننا إذن أن نتصور أن جميع المؤلفات التى وُضعت ستأخذ دورها فى الظهور خاضعة لحالات احتمال وإمكان فى اللانهائية ، فاذا اعتبرنا (ح) رمزاً لحالة الاحتمال و (ص) رمزاً للانهائية كانت المعادلة الدالة على هذه الحالات :

ح : ص

وعالمنا لا يخرج عن كونه كتاباً من هذه الكتب ، له وحدته ونظامه وتنضيده ، إلاّ أنه تابع لقانون الصدفة الشاملة .

يقول ألبرت اينشتين صاحب نظرية النسبية فى بحث قديم له :

(مثلنا ازاء العالم مثل رجل أتى بكتاب قيم لا يعرف عنه شيئاً ، فلما أخذ فى مطالعته وتدرَّج من ذلك لدرسه وبانَ له ما فيه من أوجه التناسق الفكرى شعر بأن وراء كلمات الكتاب شيئاً غامضاً لا يصل لكنهه ، هذا الشيء الغامض الذى عجز عن الوصول اليه هو عقل مؤلفه ، فاذا ما ترقى به التفكير عرف أن هذه الآثار نتيجة لعقل انسان عبقرى أبدعه .

كذلك نحن ازاء العالم ، فنحن نشعر بان وراء نظامه شيئاً غامضاً لا تصل الى إدراكه عقولنا ، هذا الشيء هو « الله »)

ويقول السير جيمس جينز الفلكى الانجليزى الشهير :

(إن صيغة المعادلة التى توحّد الكون هى الحدّ الذى تشترك فيه كل الموجودات . ولما كانت الرياضيات منسجمة مع طبيعة الكون كانت لبابه . ولما كانت الرياضيات تفسر تصرفات الحوادث التى تقع فى الكون وتربطها فى وحدة عقلية فهذا التفسير والربط لا يحمل الاّ على أن طبيعة الأشياء رياضية ، ومن أجل هذا لا مندوحة لنا أن نبحث عن عقل رياضى يتقن لغة الرياضة يرجع له هذا الكون ، هذا العقل الرياضى الذى نلمس آثاره فى الكون هو « الله »)

وأنت ترى أن كليهما (والأول من أساطين الرياضيات فى العالم والثانى فلكى ورياضى من القدر الأول) عجز عن تصوّر حالة الاحتمال الخاضعة لقانون

الصدفة الشاملة والتى يتبع دستورها العالم ، لا لشيء الا لتغلب فكرة السبب والنتيجة عليهما .

الواقع أن اينشتين فى مثاله انتهى الى وجود شيء غامض وراء نظام الكتاب عبر عنه بعقل صاحبه — مؤلفه — والواقع أن هـذا احتمال محض لأنه يصح أن يكون خاضعاً لحالة أخرى ونتيجة لغير العقل ، ومثلنا عن المطبعة وحروفها وإمكان خروج الكتب خضوعاً لقانون الصدفة الشامل يوضح هـذه الحالة . أما ما يقول السير جيمس جينز فرغم أنه أخطأ فى اعتباره الرياضة طبيعة الأشياء لأن نجاح الوجهة الرياضية فى ربط الحوادث وتفسير تصرفاتها لا يحمل على أن طبيعة الأشياء رياضية بل يدل على أن هنالك قاعدة معقولة تصل بينه وبين طبيعة الأشياء فالأشياء هى الكائن الواقع والرياضيات ربط ما هو واقع فى نظام ذهنى على قاعدة العلاقة والوحدة وبعبارة أخرى أن الرياضيات نظام ما هو ممكن والكون نظام ما هو واقع والواقع يتضمّنه الممكن ، ولذلك فالواقع حالة خصوصية منه . ومن هنا يتضح أنه لا غرابة فى انطباق الرياضيات على الكون الذى نألفه بل كل الغرابة فى عدم انطباقها لأن لكل كون رياضياته المخصوصة ، فكون من الأكوان مضبوط بالرياضيات شرط ضرورى لكونه كوناً . من هنا يتضح أن السير جينز انساق تحت فكرة السبب والنتيجة كما انساق اينشتين الى التماس الناحية الرياضية فى العالم وهذا جعلهما يبحثان عن عقل رياضى وراء هذا العالم وهذا خطأ لأن العالم إن كان نظام ما هو واقع خاضعاً لنظام ما هو ممكن فهو حالة احتمال من عدة حالات والذى يحدد احتماله قانون الصدفة الشامل لا السبب الأول الشامل .

خاتمة

ان الصعوبة التى أرى الكثيرين يواجهوننى بها حينما أدعوهم للنظر للعالم مستقلاً عن صلة السبب والنتيجة ، وخاضعاً لقانون الصدفة الشامل تردّ الى قسمين :

الأول : لأن مفهوم هـذا الكلام رياضى صرف ومن الصعب التعبير فى غير اسلوبها الرياضى ، وليس كل انسان رياضى عنده القدرة على السير فى البرهان الرياضى .

الثانى : أنها تعطى العالم مفهوماً جديداً وتجعلنا ننظر له نظرة جديدة غير

التى ألفناها . ومن هنا جاءت صعوبة تصوّر مفهوماتها لأن التغير الحادث أساسى يتناول أسس التصوّر نفسه .

ولهذه الأسباب وحدها كانت الصعوبة قائمة أمام هذه النظرة الجديدة ومانعة الكثيرين الايمان بها .

أمّا أنا شخصياً فلا أجد هذه الصعوبات الا شكلية ، والزمن وحده قادر على إزالتها ، ومن هنا لا أجد بدّاً من الثبات على عقيدتى العلمية والدعوة لنظريتى القائمة على قانون الصدفة الشامل الذى يعتبر فى الوقت نفسه أكبر ضربة للذين يؤمنون بوجود الله .

« للمؤلف »

١ : نظرية النسبية بالألمانية والروسية فى ثلاثة مجلدات .

٢ : الرياضيات والفيزيقا بالألمانية والروسية فى مجلدين .

٣ : حياة محمد ونقدات تاريخية بالألمانيـة فى مجلد .

٤ : تاريخ الاسلام بالتركية فى ثلاثة مجلدات .

٥ : من مصادر التاريخ الاسلامى بالعربية .

٦ : أبو شادى الشاعر بالانجليزية .

٧ : الزهاوى الشاعر بالعربية .

٨ : التوران فى مجرى التاريخ بالتركية .

٩ : لماذا أنا ملحد ؟ بالعربية

عن قريب :

« الرسول محمد ، أصله ونسبه »